المحاضره العاشره :المدرسة السلوكية الاجتماعية

مـــقدمـة

-بالرغم من أن الكثير ممن كتب في نظرية علم الاجتماع المعاصر يأخذ شكل الدراسات الاستدلالية التي تهتم بالمستوى الكبير الحجم(الوحدات الكبرى) فإن النزعة السلوكية الاجتماعية الأوربية القديمة – وجذورها الأمريكية في أعمال جورج ميد وكولي..- استمرت حتى الآن في فرع جديد من فروع علم الاجتماع اطلق عليها الاتجاهات الاجتماعية النفسية، وقد أثر هذا الفرع تأثيرا قويا على علم الاجتماع المعاصر.

-ولما كانت النزعة السلوكية الاجتماعية هي الأساس الذي قامت عليه النظرية الاجتماعية النفسية، فإنها تعكس الاهتمام المتزايد بالأفكار الفردية في الثقافة الأمريكية والآراء التي تهتم بالوحدات التي تتكون من عدد صغير من الأفراد، ولقد ظهرت هذه الأعمال السلوكية في أعمال ماكس فيبر، ولذا تحوّل هذا الاتجاه في الدراسات الاجتماعية من دراسة الوحدات الاجتماعية الكبيرة الى الاهتمام بالوحدات الاجتماعية المكونة من عدد صغير من الأفراد معتمدا في ذلك على المنهج الاستقرائي كما يهتم هذا الاتجاه اهتماما كبيرا بالعمليات الاجتماعية، ولذا ظهر تباين واختلاف هذا الاتجاه مع كل من الاتجاهين: (الوظيفي والصراعي).

لقد انقسمت المدرسة السلوكية الاجتماعية الى تيارين :

النمط الشمولي المعياري.

النمط الطبيعي.

إن الاتجاه القديم للسلوكية الاجتماعية في أوربا له امتداد حديث في أمريكا هو المكمل له ، وتتلخص ظروف نشأته في أنه قد نشأ كردة فعل لمجموعة خاصة من المفكرين الأمريكيين - وهم الذين تعلموا وتدربوا وتوحدوا بفكر جورج ميد في مدرسة شيكاغو- الذين استجابوا وتأثروا بعدد من الأوضاع الخاصة السائدة في أمريكا مثل: 1- تطبيق مفهومات النزعة الفردية السائدة في أوربا القديمة على المجتمع الأمريكي المعاصر. 2- التأكيد على القوى الفردية المتأصل في الأخلاق البروتستانتية المسيحية وهو الأساس الذي تقوم عليه الثقافة الأمريكية) 3- التأثير الفكري ببعض المفكرين الأوربيين مثل دوركايم وفيبر. 4- الإيمان بإمكانية تطبيق التطور الذي نادى به داروين على المجتمع والآثار السلبية للصناعة والبيروقراطية التي انعكست على الفرد.

وعلى العموم فانه يمكن ان ينظر الى النزعة السلوكية الاجتماعية (أو النزعة الاجتماعية النفسية) باعتبارها تطبيقا للأفكار القديمة عن الفردية والتطور الاجتماعي على الأحداث التي تقع في المجتمع المعاصر بقدر ما تمس الفرد، وينظر هذا المدخل الى المجتمع باعتباره كامنا في داخل الفرد، يتكون من أفراد يدركون المجتمع من خلال إدراكهم لذواتهم بصفتها ذواتا ديناميكية ومؤقته تتجلى خلال التفاعل الاجتماعي والتبادل الاجتماعي، ومن ثم فتفسير المجتمع يكتشف من خلال عمليات الاستبطان الذاتي والملاحظة، ويعطي هذا الاتجاه تأكيدا على أهمية معنى الظاهرة الاجتماعية والمحتوى السوسيولوجي للتفاعل الاجتماعي، والحالة التي تستند بها الأبنية الاجتماعية على العمليات الاجتماعية، والكيفية التي ينظم بها التفاعل الاجتماعي ويرشد على مستوى الفرد في حياته اليومية.

فهذا الاتجاه يركز على المجتمع باعتباره نسقا ديناميكيا عرضيا طارئا يتكون من تفسيرات فردية ومترابطة تكوّن كلها الحقيقة، وهو نسق يخضع لعمليات تغير، وإعادة تنظيم دوما، فبدلا من كون المجتمع نسقا خارجيا يتكون من شكل بنائي له طابع ثابت، فالمجتمع يكمن داخل الفرد أثناء محاولته الاجتماعية تفسير الحقيقة، ومن ثم فهذا المجتمع له طابع متغير توجهه العمليات.

وتكشف الأنماط المختلفة للنظرية الاجتماعية السلوكية عددا من جوانب هذا النموذج هي : المظاهر الرمزية للتفاعل وبنائه ومضمونه واعتماده على التبادل الاجتماعي والطريقة التي ينظم بها ويرشد عقلانيا على مستوى الفرد، وهذا يعني مزيدا من التطبيق والتخصيص لمفهومات النزعة السلوكية الاجتماعية في بدايتها.

ويمكن أن نصنف اتجاه السلوكية النفسية المعاصرة الى نمطين أساسيين:

الاتجاه الشمولي المعياري : ويؤكد على المظاهر الاجتماعية للذات الاجتماعية وتحليل التفاعل في الموقف وتحليل المواقف الاجتماعية الطارئة.

النمط الطبيعي: فيرى أن أساس التفاعل يكمن في عناصر التكوين البشري أو الطبيعة الإنسانية.

-ولقد اهتم أبرز منظروا السلوكية النفسية كـ (بلومر) بالمظاهر الرمزية للتفاعل، بينما اتجه (بلاو) الى دراسة العمليات الاجتماعية أو التبادل الاجتماعي، باعتبارها عمليات كامنة في العمليات النفسية البدائية وخاصة الجذب والانجذاب ودوافع ادراك الهدف ، ومن وجهة نظر أخرى رأى (جارفينكل) الدوافع الأساسية عند الكائن الإنساني باعتبارها دوافع تهدف الى تحقيق التوافق مع النظام الأخلاقي، وينتمي بلومر الى الاتجاه الشمولي الذي يؤكد على فكرة النسق، وقد اتجه بلاو وجارفينكل الى الاتجاه الطبيعي، وهذا الفرق بين المدخلين ليس فرقا جذريا بل فرق في الدرجة. لان المنظرين الأربعة اهتموا اهتماما خاصا بصياغة نظريات سوسيولوجية عن التفاعل.

العوامل الرئيسيه وراء ظهور النظرية الإجتماعيه السلوكية	هربررت بلومر (التفاعليه الرمزية)	أهداف بلومر	الافتراضات
أولا/اوضاع مجتمعيه : 1-التصنيع 2-التحضر 3- البيروقراطيه ثانيا/اوضاع ثقافيه : 1-المفهومات الفرديه 2-الأخلاق البروتستانتيه 3- تأثير فيبر ودور كايم 4- النزعه الدارونيه ثالثا/الأوضاع الشخصيه : 1- تعاليم ميد وافكاره 2-العمل بالتدريس الجامعي 3-الإهتمام بالوحدات المكونه من عدد صغير من الأفراد _تهتم النظريه الإجتماعيه النفسيه بالأفراد وتتسم بالديناميه - ولها نمطان هما أ- التفسير الطبيعي ب-التفسير الشمولي	- تلقى تعليمه في جامعة ميسوري حتى الماجستير، ثم انتقل الى جامعة شيكاغو ، وهناك تأثر بقوة بأفكار جورج ميد، وحصل على الدكتوراه . - كانت اهتماماته الفكرية تدور حول علم النفس الاجتماعي والسلوك الجمعي ووسائل الاتصال الجماهيرية، -وهو أول من قال بمصطلح « التفاعلية الرمزية» واسهم إسهاما كبيرا في تطوير هذه النظرية في مجال علم الاجتماع، وقد تضمنت أعماله عددا كبيرا من المقالات عن العلاقات بين الأجناس والسلوك الجمعي، - واهم مؤلفاته (التفاعل الرمزي المنظور والمنهج) 1962م.	-اهتم بلومر بصياغة نظرية توضح بالتفصيل طبيعة التفاعل الرمزي في المجتمع. ويدل مصطلح التفاعل الرمزي على الطابع المميز والخاص للتفاعل كما يحدث بين الكائنات الإنسانية، وتتضمن الخصوصية التفسير المتبادل والرمزي للأفعال بين الناس بعضهم بعضا. وتبعا لهذا المنظور يهتم علم الاجتماع بالعملية التفسيرية التي هي أساس سلوك الكائنات الإنسانية سواء أكانوا أفرادا أو جماعات لأداء السلوك في المجتمع الانساني. ويصور هذا النموذج المجتمع باعتباره نسقا من العمليات التفسيرية التي تحكم السلوك.	وضع هربرت بلومر عددا من الأفتراضات التي تهتم بالحقيقة الاجتماعية، متأثرا بفكر جورج ميد: 1/استعداد الناس سواء كانوا فرادى أو مجتمعين لأن يسلكوا سلوكهم معتمدين على معاني الموضوعات التي تشكل عالمهم. فالسلوك يعتمد على المعاني الاجتماعية التي تُضفى على موضوعات خاصة. وثمة ثلاثة أنماط لهذه الموضوعات: 1- الموضوعات الطبيعية(مثل الأشجار) 2- الموضوعات الاجتماعية(مثل العلماء والمدرسون والجنود والفلاحون) 3- الموضوعات المجردة(مثل المبادئ والأخلاق). 2/ترمز الروابط الى العملية التي فيها يتبادل الأفراد إشارات ورموزا متفق عليها وعلى تفسيرها من الجانبين أي تمثل الروابط عملية تفسير وبناء السلوك الانساني. 3/تتكون الأفعال الاجتماعية أثناء العملية التي يلاحظ بها الفاعلون المواقف التي تواجههم ويفسرونها ويقيمونها، وهكذا فالكائن الانساني كائن فعّال يحمل ذاتا تشارك في أداء الدور، وهكذا يتفاعل الفرد مع نفسه أثناء عملية التفسير. 4/وتوصف الروابط المعقدة للأفعال التي تشمل التنظيمات والنظام وتقسيم العمل وشبكة التساند المتبادل بأنها: ديناميكية متحركة وليست جامدة، وتبعا لذلك فلما كانت المجتمعات والجماعات تتكون أثناء عملية التفاعل، فإنها تتميز بالديناميكية والقدرة على التشكيل والتكوين من جديد. فالمجتمعات والجماعات ترتبط ارتباطا مفصليا بالفعل، وهي ليست كيانات مسبقة قبل الفعل، ولا وجود لها مستقلة عن وجود المشاركين في التفاعل. ومن جهة أخرى فان الأفعال السابقة لهؤلاء المشاركين تكون الأساس الذي يقوم عليه أي فعل مشترك -وبإيجاز يتكون المجتمع من شبكة حيّة من الأفعال التي تتكون أثناء عماية التفاعل التفسيري التي توجهها موضوعات خاصة وتحددها بيئات تضم جماعات معينة، وتبعا لهذا المنظور يمثل المجتمع عملية رمزية للتفاعل الداخلي والتفسير تكمن داخل الفرد ومن ثم فالمجتمع ليس نسقا جامدا يوجد خارج الأفراد

المنهج	نمط بلومر عن الحقيقة الإجتماعيه	الخاتمة	انتقادات بلومر
تتطلب الافتراضات السابقة نوعا من المناهج، أي الاستفادة من اكثر من نمط طبيعي في البحث والتفسير(منهج يدخل مباشرة في العالم الاجتماعي التجريبي يناقض النماذج المحددة من قبل) ويركز بلومر على الاستبصار والاستبطان. والطابع الطبيعي والمستمر للعالم التجريبي ويؤكد هذا المدخل عن حاجة الفرد الى أن يؤدي دور المشارك وأن يأخذ في اعتباره ديناميات التفاعل الاجتماعي، وان يشكل في ذهنه صورا للفعل الاجتماعي وأن يلاحظ العملية التي يبنى بها الفعل الاجتماعي، وان ينظر الى النظام والجماعات نظرة ديناميكية (أي ينظر الى اتفاقات الناس المرتبطين بالسلوك نظرة ديناميكية) . والمنهج المناسب مع التفاعلية الرمزية، هو المنهج التعاطفي والديناميكي والاستقرائي، ويناقض هذا المنهج الاستاتيكي والاستدلالي في علم الاجتماع التقليدي. وهذا المدخل يمثل مزيدا من التوضيح والتطبيق لأعمال جورج ميد.	- تتضمن النظرية الاجتماعية النفسية عدة نماذج للحقيقة الاجتماعية تواجدت في أنماط السلوكية الاجتماعية بدلا من البناء الاجتماعي أو المجتمع. ومن هذه الناحية تختلف نظرية بلومر قليلا إذ ان النمط الذي صاغه بلومر عن الحقيقة الاجتماعية متضمن في الافتراضات التي عرضنا لها من قبل. - ويتكون نموذجه من :1- الفرد(جذوره وموضوع الذات وأداء الدور)، 2- والموضوعات (الطبيعية والاجتماعية المجردة)، 3- والغير (جذورهم وتجاربهم وبيئتهم) وكل هؤلاء يمثلون نسقا متحركا ديناميكيا ورمزيا وتفاعليا وتفسيريا يكمن داخل الأفراد الذين يتفاعلون سويا.	-يختلف مفهوم المجتمع عند هربرت بلومر اختلافا واضحا عن مفهوم المجتمع لدى انصار النظريات (العضوية ، والبنائية الوظيفية، والصراعية) فنظرة بلومر للمجتمع باعتباره شبكة حية من الأفعال تتكون أثناء عملية تفسير التفاعل وتوجهها موضوعات خاصة، وتحددها بيئات اجتماعية معينة، وهكذا يمثل المجتمع عملية رمزية تفاعلية تفسيرية تكمن داخل الفرد.	1- هل يعد هذا المنظور مجرد اطار عمل تصوري أم هو نظرية في علم الاجتماع. 2- ينقص هذا المنظور البناء التفسيري. 3- يعتبر نسخة من أعمال جورج ميد تقريبا.